


| | |
|---|---|
| العنوان: | استئناف الإبداع في الأدب العربي المعاصر: عبدالله كنون نموذجاً |
| المصدر: | مجلة البحثية للعلوم الإنسانية والإجتماعية |
| الناشر: | مؤسسة خالد الحسن - مركز الدراسات والأبحاث |
| المؤلف الرئيسي: | الفتات، محمد |
| المجلد/العدد: | ع11 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 2018 |
| الشهر: | صيف |
| الصفحات: | 153 - 157 |
| DOI: | 10.46512/1394-000-011-016 |
| رقم MD: | 1045766 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| اللغة: | Arabic |
| قواعد المعلومات: | IslamicInfo, EduSearch |
| مواضيع: | الأدب العربي، المغرب العربي، كنون، عبدالله، ت. 1989 م.، التراجم |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/1045766 |



# استئناف الإبداع في الأدب العربي المعاصر
# عبد الله كنون نموذجا

**ذ. محمد الفتات[1]**

**مقدمة** تتناول هذه المقالة مسألة بعينها تخص الأدب المغربي من حيث هو امتداد للأدب العربي في شقيه المشرقي والأندلسي على اعتبار أن المغرب ظل ولا يزال جزءا لا يتجزأ من الأمة العربية من الخليج إلى المحيط، بحكم مؤثرات تتلخص في الزمان والمكان والثقافة واللغة، وذلك من خلال دراسة كتاب *النبوغ في الأدب المغربي* للعلامة عبد الله كنون للوقوف على معالم نبوغ الأدب المغربي؟ وكيف تأثر الأدب المغربي بالأدب العربي وأغناه؟ فالكتاب رائد في بابه؛ فإن كان كتاب *النبوغ اللبناني في القرن العشرين* لأنيس نصر كان قد صدر سنة 1938م،فإن الراجح أن كتاب *النبوغ المغربي* كان سباقا للطبع والنشر، إذ يقول سيدي عبد الله كنون في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه: "وفضيلة هذا الكتاب في أنه ليس لقطر من أقطار العروبة نظيره"[2].

والواقع أنه لم يكن للأدب المغربي حضوره الذي يليق به في موسوعة الأدب العربي والعالمي قبل صدور كتا النبوغ المغربي، ولم يقيض قبله من يجمع التراث الأدبي المغربي في سفر خاص، بل كانت هناك أعمالٌ فنية وأدبية متناثرةٌ هنا وهناك بين دفوف الكتب ومخطوطات في رفوف الخزائن والبيوت. وقد استطاع عبد الله كنون أن يسد بكتابه ثغرة في تأريخ نشأة الأدب العربي وتطوره، بما استصحب معه من حجج وشواهد وأن يقدمها على صورتها المتكاملة التي وُفِّق إليها، رغم قلة الموارد من المال والعتاد. فأصبح بذلك عبد الله كنون من أعمدة وركائز البحث العلمي في المغرب في مختلف الفنون والمجالات، فما من باحث مجد في مجاله إلا واستصحبه أثناء رحلته الدراسية والعلمية، فهذا أمير البيان المرحوم شكيب أرسلان، وذاك بروكلمان مستشرق من بلاد الألمان، وغيرهم يثنون عليه وعلى لما له من صولة في عالم الفكر وميدان العرفان.

ولا يخفى أن الأدب المغربي لم يكتسب عبقريته ونبوغه هذا من فراغ، بل لقد اتكأ عبد الله كنون على رصيد متراكم من اهتمام المغاربة بالأدب العربي وفنونه نتيجة تفاعلهم مع ما كان يرد إليهم من أخبار عن طريق الحجيج والتجار. ناهيك بما تحصلت عليه الجماعة العربية من تألق ناتج عن التمازج والتزاوج بين مقامات الوحي الإلهي ومقامات الانفتاح الثقافي على دول وحضارات اخرى أَثْرت بشكل إيجابي مضمون الأدب العربي ووسعت من قضاياه ومن آفاقه. ومن غير شك أن مساهمات الأدباء المغاربة الأمازيغ الجليلة في الأدب العربي قد شكل مثالا جلياً على هذا التزاوج وهذا الإثمار، ولم تكن خطبة طارق ابن زياد البربري إلاّ فاتحةً لمساهمات الأمازيغ الوازنة في فن الخطابة العربي، حتى عد من أبرز الخطباء المفوهين الذين عرفهم الأدب المغربي والعربي.

وللأندلس أيضا فضل كبير في إثراء الثقافة المغربية والعربية على حد سواء، بفعل ما قدم أعلامها- وأغلبهم من المغاربة- من انتاجات وإبداعات، ساهمت بشكل كبير في بناء الأدب العربي بمختلف مجاليه، بل شكل (الأدب الأندلسي) حلقة فكرية وعلمية يصعب على أي منكر تجاوزها في بناء الحضارة العربية، لأنه أعاد الاعتبار لمجموعة من الفنون الأدبية: كالزجل والملحون. وغالبا ما أخذ هذا الإبداع طابع الإحياء والتجديد. وبعد سقوط الأندلس هُجر علماؤها وأدباؤها قسرا إلى المغرب، مما أدى إلى نبوغ الأدب المغربي من جديد على يد أجيال متتابعة من العلماء لم يكن عبد الله كنون أحد أبرز أعلامهم.

**1/ التعريف بالمؤلِّف** ولد عبد الله كنون الحسني[3] بمدينة فاس سنة (1326/ 1908م) من أسرة سنية محافظة، حفظ القرآن صغيراً بالكتّاب، ثم لحق بالقرويين ليتلقى علوم عصره على كبار المشايخ يومئذ، ليتخذ من مدينة طنجة مكان استقرار لما بقي من حياته، أسس بها المعهد الإسلامي، الذي تولى إدارته حتى سنة 1953م، وأقام في تطوان مدرساً في المعهد العالي ومديراً لمعهد الحسن للأبحاث، ولم يلبث أن عين وزيراً للعدل. كان أحدُ مؤسسي الجمعية الوطنية الأولى بقيادة محمد عبد الكريم الخطابي. وفي سنة 1956 م عين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وفي عام 1961م انتخب عضواً عاملاً

في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وانتخب أيضاً أميناً عاماً لرابطة العلماء في المغرب. وبعد نحو عشر سنوات انتخب عضواً عاملاً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وكان عضواً شرفياً في مجمع اللغة العربية الأردني وعضواً بالمجمع العلمي العراقي. ترأس صحيفة الميثاق . لسان حال رابطة علماء المغرب، وتوفي رحمه الله سنة1409 هـ/1989م.

وقد زادت مؤلفاته المنشورة على الخمسين كتاباً، منها: *أحاديث عن الأدب المغربي الحديث؛ أدب الفقهاء، وغيرها من المؤلفات*. أما كتابه *النبوغ في الأدب المغربي* فقد طبع مرتين في حياة الكاتب، الأولى في جزئين وصدرت سنة 1357هـ / 1939م[4]. والجزء الأول منهما كان يضم قسم "التحليل والدراسات"، أما الجزء الثاني فيضم قسم "المنتخبات النثرية والشعرية معا"[5]. أما الطبعة الثانية فصدرت سنة 1961م[6] في ثلاثة أجزاء، استدرك فيها صاحبُها ما رأى استدراكه، وصحح ما صححه، وأضاف ما يمكن إضافته[7] خاصة أنه ظهرت كتبٌ جديدة لها علاقة وطيدة بمادة كتابه لم تكن من قبل ومنها *مدارك القاضي عياض* وكذلك *نثير الجمان لابن الأحمر*. فقوَّى بها حججه وصوب نظره، كما تغيرت لديه وسائل التفكير والعمل بعد مرور الزمن قدر الإمكان؛ وقد بقي الجزء الأول على حاله في التقسيم إلا أنه حصلت فيه زيادات وتصحيحات...بحسب المستجدات والغرض. أما الجزء الثالث فقد أصبح يقتصر على قسم المنتخبات النثرية؛ بينما ضم الجزء الثالث قسمَ المنتخبات الشعرية فقط. كما صدر الكتاب في طبعة ثالثة بمكة المكرمة لم يتيسر لنا الاطلاع عليها، ناهيك بغيرها من الطبعات. وعموما يمكن القول أن أغلب فصول ومحاور الكتاب طرأت عليها زيادات وتغييرات أملتها الضرورة بفعل تأثيرات الزمان والمكان.

2/ **خصائص ومميزات الأدب المغربي** تتلخص قضية الكتاب الكبرى في جمعه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة وتصوير الحياة الفكرية، مما يجعلنا أمام زخم من العلوم والفنون، تترابط الأحداث التاريخية والعلمية فيها في مكان عمرت فيه اللغة والثقافة البربرية التي هيمنت عليها الوثنية لعقود طوال قبل الفتح الإسلامي. والكتاب عموما جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل، لذا عد من الكتب المختصرة، فهو يتحدث عن كل فترة من فترات تاريخ المغرب بأحداثه وشخصياته الأدبية والعلمية والسياسية ومنتجاتهم الفكرية والثقافية.

وإذا كنا لا نهدف من خلال هذا الورقة البحثية إلى تمييز الأدب المغربي بميزة ليست في الأدب العربي عموما، ولا إلى تخصيصه بطابع خاص يجعله منفردا عن غيره[8]، فإننا سنحاول التذكير ببعضَ المميزات والخصائص التي هي من صميم الأدب العربي، والتي تحافظ، من جهة، على هويته من حيث الأصل، وعلى قابليته للتطور والتجديد بفضل قدرة انفتاحه على ثقافات جديدة من جهة أخرى. مما جعل الأدب العربي يتأسس على عين من التمازج والتفاعل بين الأمصار العر بية ذاتها في نسق بنيوي موحد أثرته اللغة والتوحيد، وبينها وبين باقي الحضارات والأقاليم الأخرى كما وقع في الأندلس، لاسيما عندما كان الزمن زمن ترفٍ ونعمة: فمتى خشنت الأيام واضطرب حبل الفتن كان الأدب أول ما ينصرف عن تلك الأقطار، كما أن أول ما يجف من أنواع الشجر الزهر. إلا أن الأدب المغربي ظل حيا مؤمنا برسالته يدافع عن العقيدة الإسلامية وبيضة الأمة ومثلها العليا عبر العصور.

غير أنه يظل هناك أدب مغربي له ذاتيته وطابعه الخاص دون وجود قطيعة بينه وبين الأدب العربي العام يسهل التعرف على خصائصه ومميزاته. وأول **الخصائص** التي تميز بها أدب المغرب، هي أنه كان يُمارِس نشاطه في الزوايا: كزاوية الدلائيين في الأطلس وزاوية الناصريين في الجنوب فضلا عن مراكز علمية أخرى ظلت مجمعا للأدباء والشعراء: كسبتة التي قال عنها المعتمد: " اشتهيت أن يكون عندي من أهل سبتة ثلاثة نفر: ابن غازي الخطيب وابن عطاء الكاتب، وابن مرانة الفرضي"[9]، وهذا يدل على علميتها وعالميتها آنذاك، ناهيك بغمارة وفاس ومكناس ومراكش وغيرها من الرباطات العلمية. كما أن من خصائصه أيضا، شدة ترقبه لأدب البلاد الشرقية والأندلسية وثقافتهما حتى أصبح من الضروري أن يستكمل الأديب ثقافته واطلاعه بزيارة إلى بلاد الشرق كما فعل محمد بن الطيب العلمي وهو أول قصصي مغربي، أسوة بالأدباء الذين سبقوهم كالعياشي[10] واليوسي[11] وأحمد بن ناصر الدرعي[12] وغيرهم، بعدما كانت من قبل تشد في أغلب الأحيان إلى الأندلس كما فعل القاضي عياض[13] وغيره من أدباء وعلماء المغرب.

وقد تميز الأدب المغربي بظهور الموشح الملحون الغني بأغراضه وأشكاله[14]. قال الرافعي: "ومن التوشيح ما لا يكون معربًا، وهو من اختراع أدباء اليمن؛ قال صاحب *سلافة العصر*: ولأهل اليمن نظم يسمونه الموشح، غير موشح أهل المغرب، والفرق بينهما أن موشح أهل المغرب يراعى فيه الإعراب بخلاف موشح أهل اليمن فإنه لا يراعى فيه شيء من الإعراب، بل اللحن فيه أعذب؛ وحكمه في ذلك حكم الزجل"[15]. كما يتميز الأدب المغربي بلغة سهلة وأسلوب سلس، لا تستشكل على أحد مسائلُه وقضاياه ولا تستعجم مواضيعه[16]، إذ الكتاب لا يعد مثالا للتأريخ فحسب، بل مثالا للبلاغة أيضا[17]. كما كان من تحصيل الحاصل أن يتميز الأدب المغربي باستيعابه الثقافة الأمازيغية الشيء الذي جعل أدباء وعلماء غير عرب يبدعون في أشكال من تعبير الأدبي في مجالات عدة كالخطبة التاريخية، كانت ضرباً من فن الخطابة، أو من فن الحماسة[18]. ومن جملة ما تميز به الأدب المغربي، تعبير بعض زعماء المغرب السياسيين- الذين لم يكن لهم حظ من العلم- بلغة الدارجة أو العامية لاستنهاض الهمم لمحاربة الاستعمار، لأن أغلب المجاهدين كانوا أميين.

**3/ أثر الأدب العربي في الأدب المغربي** كان للأدب العربي الفضل الكبير على الأدب المغربي ورواده، بحيث كانت السمة الأساسية للعلماء هجرتهم إلى المشرق أو الأندلس للتفقه على يد الشيوخ البارزين هناك، لصقل شخصيته العلمية والأدبية. وهناك من اختار البقاء داخل البلد الذي يقيم فيه، لينهل من الكتب والشيوخ دون حاجة إلى الهجرة. وقد أثرت هذه العوامل بشكل واضح على مستوى الإبداع الفني والأدبي بفضل تبادل الخبرات، إذ وُصفت أعمال عبد الله كنون "بنفحات زكية من المغرب العربي"[19] من طرف بعض المشارقة.

ومن أبرز تلك المؤثرات، امتزاج الأدب المغربي بالفقه والتصوف في نشأته الأولى، إذ نجد هذه الحالة عند الضرير شيخ عياض[20] الذي قال عنه أنه كان "عارفاً بالنحو والأدب"[21]، ووصفه المقري "بالأديب النحوي المتكلم الزاهد"[22]، ونذكر له شعرا جميلا في التصوف[23]:

أعندك أني لا أرى غير خالقي * ولولا قصورُ الخلق بحت بما عندي
فسبحان من يبدو إلينا بذاته * فندركُه من غير رسـم ولا حـــــد
نراه عيانا بالقلوب وإنــــه * لأقربُ من حبل الوريد إلى العبـــد

ومن هذه المؤثرات، أن الأدب المغربي أصبح يمزج بين الحركات الفكرية والحركات السياسية، وتطور الحركات العقلية في المغرب"[24]، أسوة بما يجري في مصر وغيرها من الدول العربية ضد الاستعمار الأجنبي. كما تأثر الأدب المغربي بنظيره في الأندلس أيام النعيم، وأثر فيه بعد النكبة نظرا لهروب أغلب العلماء والأدباء إلى المغرب حتى لم يبق له أثر هناك. وعبر كل هذا ظل الأدب المغربي وفيا في دفاعه عن العقيدة الإسلامية من خلال اشتغاله واهتمامه بالمديح النبوي، أو ما يعرف بالأدب الصوفي، الذي يجمع "بين الإبداع الفني والضمير الديني في انصهار بين الذاتية الفردية لأدبائنا، والذاتية الجماعية لجماهير شعبنا خلال التاريخ"[25] حتى كان المغرب أول بلد يحتفل بعيد المولد النبوي، وذلك في سبتة في عهد الإمارة العزفية، لتعم بعداً العالم الإسلامي؛ ناهيك بدور الأدب المغربي في الدفاع عن الصحابة عن طريق التأليف والتدريس.

كما تأثر الأدب المغربي بطبع الأدِيب الذي غالبا ما كان يجمع بين بطولات السيف والقلم حتى سجن واستشهد العديد منهم في سبيل الكلمة؛ ومن آثار هذا ما عُررف عن الأدباء المغاربة من إلتزامهم الأدبي ونشاطهم السياسي، مما جعل معظم ملوك العلويين المتأخرين يأخذون بالتقاليد المتبعة عند عرب المشرق، ويختارون للسفارة والكتابة أدباء وشعراء، ومن هؤلاء السفير الزياني وغيره.

خاتمة هكذا يتبين لنا أن الأدب المغربي ظل من جهة وفيا في تواصله مع الأدب العربي عموما، ومن جهة أخرى مستقلا بقضاياه، يعبر بحق عن ثقافة المجتمع في قطر معين بعد أن كان قبلاً يفتقد الحضور البارز في حلقات تاريخ الأدب العربي. إذ أن الأدب المغربي والأندلسي شكلا في انصهارهما مرحلة النضج والتجديد في الفكر العربي عموما، بعدما اتهم بالجمود

والتقليد في عصور خلت قبل صدور *النبوغ المغربي*.. والواقع أن هذا العلق النفيس جسد على أرض الواقع عبقرية الإنسان المغربي والعربي عامةً وقدرته على استيعاب ثقافات أخرى ينهل منها ما يراه صالحا لبيئته الاجتماعية حفاظا على هويته، ناهيك بقدرته على الإبداع في مختلف المجالات، فبرز الفقيه الأديب، والخطيب المفوه، والسياسي الأديب والفقيه السياسي. إن *النبوغ المغربي* هو بحقٍ موسوعةٌ علمية تحوي تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي، وتهيمن عليه الثقافة العربية الإسلامية مع الاحتفاظ بخصوصية المجال المغربي وأعرافه التي لا تتعارض عادةً مع الإسلام؛ وهو ما جعل من الأمة العربية أمَّةً أراد لها الله أن ملتحمةَ أجزاؤها، وكأنها طائر قلبه في أرض الكنانة، وجناحه الأيمن يصل إلى العراق والخليج العربي، وجناحه الأيسر يرفرف فوق مغربها حتى يمس ماء المحيط الأطلسي، كما قال أديب فلسطين الدكتور اسحق موسى الحسيني.[26] فصوت الأمة العربية في مشرقها ومغربها ينبع من نَفْس واحدة، ويعبر عن آمال وآلام متشابهة، ومتى توحد الوجدان، توحد المضمون، ومتى توحد الاثنان جاءت الكلمة الواحدة تتردد تردد الصدى في أعماق الوادي.

## لائحة المصادر والمراجع


ابن الزيات (تحقيق/ علي عمر)، *التشوف إلى رجال التصوف*، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1،2007/1427م .

ابن مخلوف. *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، علق عليه: عبد المجيد خيالي، لبنان ، دار الكتب العلمية، ط1، 1424 هـ - 2003م.

أعضاء ملتقى أهل الحديث. *المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين* (ب.م، ب.ن، ب.ت.).

الزركلي.االأعلام، دار العلم للملايين.الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002م.

عباس الجراري. الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، مكتبة المعارف الرباط. الطبعة: الأولى 1979/1399م.

عبد الرحمن الرافعي، *تاريخ آداب العرب*. دار الكتاب العربي بدون طبعة.

عبد الله كنون، *النبوغ المغربي*، بيروت، دار الثقافة ، لبنان، 1961م.

المقري التلمساني. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المحقق: مصطفى السقا - إبراهيم الإبياري - عبد العظيم شلبي. الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة. عام النشر: 1358هـ - 1939م.

يقوت الحموي، معجم *البلدان*، بيروت، دار صادر، ط2، 1995م.


[1] - باحث في مركز الدكتوراه، تكوين التراث الصوفي بالغرب الإسلامي، كلية أصول الدين، تطوان.

[2] -*النبوغ المغربي*، 32/1.

[3] - أعضاء ملتقى أهل الحديث. *المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين*، ص193.

[4] - الزركلي.*الأعلام*، دار العلم للملايين، ط 15 - أيار / مايو 2002م، 344/8.

[5] - المرجع نفسه، ص12.

[6] - مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم (المتوفى: 1360هـ). *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان. ط1، 1424هـ - 2003م. 256/2. ووجدنا في نهاية مقدمة الطبعة الثانية من *النبوغ المغربي* 1960م، ص13.

[7] - كنون، عبد الله. *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، دار الثقافة بيروت، لبنان، السنة 1961م، 11/1 و 637/3-638.

[8] -انظر *النبوغ المغربي*. مقدمة الطبعة الثانية.

[9] - يقوت الحموي،(المتوفى: 626هـ)، معجم *البلدان*، الناشر: دار صادر، بيروت، ط. 2، 1995 م. 183/1.

[10] - أبو سالم العياشي (1037 - 1090 هـ = 1627 - 1679 م) صاحب الرحلة المشهورة، وهي حافلة بالفوائد، انظر ترجمته عند الزركلي. **الاعلام**، 4: 129

[11] - اليُوسي (1040 - 1102هـ = 1630 - 1691م) الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي: فقيه مالكي أديب، ينُعت بغزالي عصره. من بني (يوسي) (3) بالمغرب الأقصى. تعلم بالزواية الدلائية، وتنقل في الأمصار. انظر نفس المرجع ج233/2، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، 474/1.

[12] - احمد بن ناصر الدرعي. توفي سنة 1137 هـ[1724م]. انظر *شجرة النور الزكية* 482/1.

[13] - توفي سنة 544هـ

[14] - عباس الجراري، *الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه*، الرباط ، مكتبة المعارف، ط1، 1979/1399م. 229/1.

[15] - نقلا عن الرافعي، عبد القادر. *تاريخ آداب العرب*، دار الكتاب العربي بدون طبعة، 106/3.

[16] -نفس المرجع ونفس الصفحة.

[17] - نفس المرجع ونفس الصفحة.

[18] - انظر نفس المرجع هامش ص23.

[19] - كنون، عبد الله. *أحاديث عن الأدب المغربي الحديث*، ط: 4، دار الثقافة، الدار البيضاء ص5.

[20] - أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي توفي سنة 520هـ بمراكش. انظر المقري التلمساني (المتوفى: 1041هـ).*أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*، تح: مصطفى السقا - إبراهيم الإبياري - عبد العظيم شلبي، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة. عام النشر: 1358 هـ - 1939م، 161/3.

[21] - عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ): *الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض*، تحقيق: ماهر زهير جرار، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى 1402 هـ - 1982 م، ص226.

[22] - نفس المرجع السابق ونفس الجزء والصفحة.

[23] - ابن الزيات (تحقيق/ علي عمر). *التشوف إلى رجال التصوف*، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2007/1427م، ص88.

[24] - *النبوغ المغربي* ج18/1

25- عباس الجراري، *الأدب المغربي* 141/1

[26] - عبد الله كنون. *أحاديث عن الادب المغربي الحديث*، ص5.